معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 16/ العدد 1 (جوان 2021): ص.ص:603-624

# مكونات السياق التداولي للبيان عند الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتبيين"

# Components of the Pragmatic context of the statement at Al-Jahiz through his book «Al-Bavan and Al-Taibeen»

عبد الدايم عبد الرحمان*

جامعة البويرة، الجزائر، nacerabderrahmane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/02/13؛ تاريخ القبول: 2021/06/27؛ تاريخ النشر: 2021/06/30

**الملخص:**

تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن ملامح التداولية الحديثة عند الجاحظ من خلال كتابه "البيان والتبيين، من مُنطلق أن الدراسات التنظرية الأولى للبلاغيين العرب ركزت على بعض العناصر التي تُعدّ جوهر النظرية التداولية، ومن بين هذه العناصر السياق، فالسياق يعدُّ من أهم القضايا التي تنبني عليها التداولية، وقد اهتمت به البلاغة العربية اهتماما كبيرا، حتى أننا نجد مفهومه ملازما لمفاهيم علوم البلاغة.

وقد تنبّه الجاحظ في هذا الكتاب إلى العلاقة التي تربط بين البيان والتواصل، فنظر إلى البيان العربي من الجانب التواصلي، وفيه اهتم بعنصر السياق وحدده باعتباره شرطا ضروريا لتحقيق عملية التواصل البياني، لذلك أشار إلى أن المتكلم يجب أن يراعي كل الجوانب المتعلقة بالسياق.

**كلمات مفتاحية:** السياق التداولي؛ التداولية؛ البيان؛ التواصل؛ التواصل البياني؛ المقام.

**Abstract**

This study seeks to find the faetures of modem Pragmatismat Al-Jahiz through his book « Al-Bayan and Taibeen » for Al-jahiz, in light of the fact that the first theoretical studies of the Arab Rhetoric focused on some elements that are the essence of Pragmatic theory.

* المؤلف المرسل.

Among these elements is the context. The context is one of the most important issues on which Pragmatism is based. And has been interested in Arabic rhethoric, great interest, so that we fin dits concept inherent to the concerts of science rhetoric.

In this book, Al-Jahiz warned about the relationship between the statement and the communication. He looked at the Arab statement from the communicative aspect, in which he took care of the context element and defined it as a necessary condition for achieving the process of graphical communication. He pointed out that the speaker must take into account all contextual aspects.

**Keyword:** context; Pragmatic context; Statement; Communication; Communicate the statement; situation.

**مقدمة:**

تقوم النظرة التداولية الغربية على البحث في العلاقات التفاعلية بين النص ومنتجه من جهة، وبين النص ومتلقيه من جهة مع مراعاة مختلف العناصر السياقية المؤثرة في عملية التواصل، وبذلك استطاعت النظرية التداولية أن تعيد النظر في العناصر التي يرتكز عليها البحث اللساني،

وإذا بحثنا في أعماق الدرس البلاغي العربي يمكن أن نجد ملامحا للتداولية الحديثة انطلاقا من الدراسات التنظرية الأولى للبلاغيين العرب، التي تدور حول عملية التواصل، فقد ركزت هذه الدراسات على ظروف إنتاج الخطاب، ومقاصد المتخاطبين وعلاقتهم، واعتبرت أن إقحام العناصر المقامية التداولية في التحليل يُعتبر شرطا أساسيا في تفسير الظواهر اللغوية، فكانت صورة المقال عندهم تختلف بحسب المقام، لذا كان من رأيهم أن لكل مقام مقالا.

ويمكن أن نجد في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ ملامح كثيرة للتداولية الحديثة، فقد ركّز فيه على بعض العناصر التي تُعدّ جوهر النظرية التداولية كالمرسل والمتلقي وعملية التأثير والقصد ونوايا المتكلم والفائدة من الكلام والإفهام، كما ركز على ظروف إنتاج الخطاب، ومقاصد المتخاطبين وعلاقتهم، كما ركز على عنصر السياق، واعتبر أن إقحام العناصر المقامية التداولية في التحليل يُعتبر شرطا أساسيا في تفسير

الظواهر اللغوية، فكانت صورة المقال عندهم تختلف بحسب المقام، لذا كان من رأيهم أن لكل مقام مقالا.

## 1- السياق بين منظور التداولية ومنظور الجاحظ:

يعتبر السياق من أهم القضايا التي تنبني عليها التداولية، وقد اهتمت البلاغة العربية اهتماما كبيرا بالسياق، حتى أننا نجد مفهومه ملازما لمفاهيم علوم البلاغة، متضمنا فيما يسمى بمقتضى الحال، على أساس أن الكلام يكون طبقا لما اقتضته حاله بحسب أنواع المقامات، وعليه فإن فكرة المقام تحتل مكانة كبيرة داخل بنية الخطاب البلاغي العربي، بل إن البلاغة العربية تدور في فلكه باعتباره محددا، يجعل عملية التواصل سهلة وممكنة بين الذوات المتخاطبة، ذلك أن من" تمام البلاغة ...معرفة المقامات، وما يصلح في كل واحد منها من الكلام"[1]، وقبل استعراضنا لمنظور الجاحظ للسياق، سنقف عند منظور التداولية للسياق:

### 1-1 السياق في الفكر التداولي:

تنبني التداولية على عنصر هام وهو السياق، وتدور معاني كلمة سياق في اللغة العربية حول المتابعة، والتسلسل، فيقول ابن منظور: " انساقت وتساوقت الإبل تساوقا، إذا تتابعت، وكذلك متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أم عبد: فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق، أي ما تتابع، والمساوقة المتابعة، كان بعضها يسوق بعضا"[2]، فمعنى السياق عند ابن منظور هو المتتابعة، كما يقول ابن فارس:" السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سقا والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال: سُقت إلى امرأتي صداقها وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[3]، فمعنى السياق عنده هو التسلسل.

أمّا إذا عُدنا إلى المعاجم العربية الحديثة، فنجد أن مفهوم السياق أخذ معنا

(1)- أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، 1971، ص31.
(2)- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سوق)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص345.
(3)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (سوق)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 221.

اصطلاحيا، فيقول جبور عبد النور معرفا السياق بأنه:

"- مجرى الأحداث في رواية أو مسرحية، أو تسلسل لأحادث مترابطة بحيث تتألف منها حبكة ببداية وتنام ونهاية.

- وحدة السياق: قاعدة وضعها أرسطو، ويقضي بألاّ يكون للرواية أو المسرحية سوى حبكة واحدة، وقد أقرّها الكلاسيكيون في منتصف القرن السابع عشر، وطورها الرومنسيون مع محافظتهم على وحدة الإشارة.

- لغويا: من الكلام أسلوبه الذي يجري عليه"[1] فالسياق عند جبور عبد النور له بعد أدبي يرتبط بحبكة النص، أو هو قاعدة أدبية وضعها أرسطو،وقد يتطابق السياق مع مفهوم الأسلوب.

ونجد في المعجم الفلسفي: "سياق الكلام، أسلوبه ومجراه، تقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع جمل النص، وللتقيد بسياق الكلام في تفسير النصوص وتأويلها فائدة منهجية،لأن معنى العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا شئت أن تفسر عبارة من نص وجب عليك أن تفسرها حسب موقعها في سياق ذلك النص وسياق الحوادث: مجراها وتسلسلها أو ارتباط بعضها ببعض"[2]، فالتفسير والتأويل مرتبطان بسياق النص.

في مقابل نجد في المعاجم الأجنبية تحديدا دقيقا لمفهوم السياق، فيعرّف حون ديبوا (Jean Dubois) السياق بأنه:

"1- المحيط: بمعنى جميع الوحدات التي تسبق، والتي تتبع وحدة معيّنة تسمى أيضا سياقا أو سياقا لفظيا.

2- مجموع الظروف الاجتماعية التي يمكن أن يتم أخذها في الحسبان، من أجل دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك الفردي، ينظر إليه في الغالب باعتباره السياق الاجتماعي ذا السلوك اللغوي، ونقول أيضا سياق مقامي أو

(1)- حبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، دار الملايين، ط1، 1979، ص142-143.

(2)- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والأنجليزية واللاتينية**، ط1، بيروت، 1971، ص681.

سياق المقام، إنها المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه حول المقام الثقافي والسيكولوجي لتجارب ومعارف كل منهما"[1]، ويمكن أن نقول أن جون ديبوا قد وسّع من دلالة السياق بإخراجها من دائرة التركيب اللساني، فأصبحت مرتبطة بالظروف الاجتماعية.

كما حاول فيرث Firth أن يبلور نظرية لغوية متكاملة، تقدم تصورا واضحا ومستقلا لإبراز المعنى، فذهب إلى أن المعنى لا يتكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، وتتطلب دراسة المعاني تحليلا دائما للسياقات التي ترد فيها، فهي بهذا تفسر جميع أنواع الوظائف الكلامية[2]، وبذلك وظّف فيرث كل ماله علاقة بتحديد المعنى، سواء تعلق الأمر ببنية النص الداخلية، أو الموقف الكلامي والأطراف التي لها علاقة مباشرة بتشكيل النص.

وبذلك يعدّ السياق التداولي دليلا على حيوية اللغة، لأن تعدد المعنى ينشأ من تعدد السياقات، ويمثل السياق التداولي خاصية من بين الخصائص التي يقوم عليها أي استعمال لأية لغة طبيعية، لأن التواصل اللغوي يتم بين المتكلم والمخاطب داخل سياق مقامي محدد. كما أن المنهج السياقي هو الذي يجعل للسياق التداولي الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الكلمات وضبط دلالتها انطلاقا من علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في النص.

**2-1 مكونات السياق التداولي:**

يرى مالينوفسكي أن السياق والموقف مرتبطان بعضهما ببعض، ويتكون سياق الموقف عنده من ثلاثة عناصر[3]:

1- شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام معهما، ودور الشاهد في المراقبة أو المشاركة.

2-العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحديث اللغوي، ويشمل

(1)-Jean Dubois et autres, **Dictionnaire de linguistique,** édition 2001,, p120.

(2) - ينظر: محمود السعران، **وظائف اللغة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص312.

(3) - كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1939، ص122.

الزمان والمكان.

3-أثر الحديث اللغوي كالإقناع والفرح والألم.

ويرى فيرث أن وضع الكلام في سياقه يساعد على فهمه وتحليله، ويتكون السياق بالنسبة إليه من عناصر متكاملة هي[1]:

- المتكلم.

- السامع أو السامعون أو جملة الحضور وجملة الأشياء بالموقع.

- الزمان والمكان.

كما يرى أنه من الواجب النظر إلى الجوانب كلها، وعلاقة بعضها ببعض، حتى يمكن فهم الكلام فهما جيدا، وتحليله تحليلا صحيحا.

وحدد طه عبد الرحمان العناصر التي تقتضي حضورها في السياق التداولي في ثلاثة عناصر أساسية هي[2]:

1-عنصر ذاتي : يمثل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

2-عنصر موضوعي: يمثل الوقائع الخارجية التي تم فيها القول، ويقصد بها الظروف الزمانية والمكانية.

3-عنصر ذاوتي : ويمثل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.

وانطلاقا مما سبق يمكن تقسيم السياق التداولي إلى قسمين

**- الأوّل: السياق اللساني- المقالي**

وهو مجموع العناصر اللفظية للحديث اللغوي، وتشمل ما يلي[3]:

- الوحدات الصوتية- الفونيمات- الوحدات الصرفية- المورفيمات- والكلمات والجمل...

(1)- كريم بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والحديث**، ط2، القاهرة، 1989، ص122.

(2)- طه عبد الرحمان، **الدلاليات والتداوليات، أشكال الحدود**، مجلة البحث اللساني والسيميائي، العدد 9/8/7 ماي 1981، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص302.

(3)- محمد يوسف حلبص، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، ص31.

- ترتيب الوحدات داخل الجمل أو مجموع العلاقات التي تربطها بعضها ببعض.

- طريقة نطق هذه الجمل وظواهر التطور الصوتي المصاحبة لهذا النطق، ومنه النبر والتنغيم والفواصل الصوتية.

فالسياق اللساني هو دراسة وتحليل النص على ضوء مستوياته الداخلية، وهي المستوى الصوتي والمعجمي والنحوي، ومن خلال هذه المستويات يمكن الوصول إلى المعنى اللغوي.

**-ثانيا: السياق غير اللساني-الحالي:**

يتكون هذا السياق من العناصر التالية[1]:

- شخصية المتكلم، ثقافته، حالته النفسية، وكذلك السامع أو السامعون والشخوص الحاضرون أثناء الكلام، أو الذين لهم علاقة به.

- الأشياء أو الموضوعات المتصلة بالكلام.

- أثر الكلام على المشاركين فيه، مثل الانفعال والألم والإغراء...

- الظروف المحيطة بالكلام كالبيئة والزمن والأحداث المعاصرة له، سياسية، اقتصادية، اجتماعية... التي تتصل بالموقف اللغوي.

فيكون السياق غير اللساني هو مجموع الظروف والملابسات التي تفهم من خارج النص اللغوي، والتي لها أثر في تحديد دلالته، ويدخل في هذا السياق البعد الثقافي والاجتماعي والنفسي...كما يدخل البعد الزماني والمكاني والغاية من الخطاب، ونوعية المتخاطبين.

**3-1 السياق عند الجاحظ:**

اهتم الجاحظ بعنصر السياق وحدده باعتباره شرطا ضروريا لتحقيق عملية التواصل، لذلك أشار إلى أن المتكلم يجب أن يراعي كل الجوانب المتعلقة بالسياق، وأن يوازن بين ما أسمته البلاغة أوزان المستمعين وأقدار الحالات، وفي ذلك يقول نقلا عن

(1)- المرجع نفسه، ص32.

بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يُقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، فمراعاة الجوانب المتعلقة بالسياق شرط أساسي عند الجاحظ لتحقيق التواصل بين المتكلم والمخاطب، ويعطي الجاحظ للمقام دورا حاسما في تحقيق الوظيفة الإقناعية للخطاب من خلال عرضه لمناسبة القول التي باختلافها تختلف المعاني وهذا سياق حديثه عن أقدار الحالات، فيقول: "ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجل لكل مقام مقال"[2]، فمراعاة المقام والحال هو أساس العلاقة بين الخطيب (المتكلم) والمستمع، وشرط لكل تواصل بياني، فالخطيب مطالب بمراعاة قدر مخاطبيه ومنزلتهم ومواقفهم وظروفهم، والكلام لكي يحقق وظيفته الإقناعية يقتضي التوجه بحسب حاجات المخاطبين ومراتبهم الخاصة. فيكتسي المقام بذلك "طابعا تداوليا يجعله يلف كل عملية القول، فالمتكلم محكوم باعتبار مخاطبيه، وباعتبار التلاؤم بين الغرض وصورة قوله، واعتبار السياق الذي يرد فيه الخطاب"[3]، بالإضافة إلى تحري الموضوع المتحدث عنه، واختيار ما يلائمه من الألفاظ، وهو ما يطلق عليه بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، فيقول: "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال"[4]، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال تقتضي حسن اختيار الألفاظ، وعن ذلك يقول بشر بن المعتمر: "فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبّ عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ

(1)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص38.

(2)- المصدر نفسه، ج1، ص136.

(3)- عادل عبد اللطيف،**خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، مقاربة لآليات بلاغة الإقناع**، أطروحة دكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، السنة الجامعية، 2004/2003، ص25.

(4) - الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص38.

المتكلمين، إذا كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن و بها أشغف"[1]، وانطلاقا من ذلك نادى الجاحظ بمقولة لكل مقام مقال ولكل صناعة شكل، ولهذا يعتبر حمادي صمود الجاحظ" أول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تُقدّر أن الكلام، وهو المظهر لوجود اللغة، يُنجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه، بالإضافة إلى الناحية اللغوية المحض، جملة من العوامل الأخرى كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط"[2]، فمراعاة السياق التداولي شرطا أساسيا في العملية التواصلية عند الجاحظ.

## 2- السياق التداولي والتواصل البياني:

تنبّه الجاحظ إلى العلاقة التي تربط بين البيان والتواصل، فنظر إلى البيان العربي من الجانب التواصلي، فكان البعد التداولي حاضرا في البيان عند الجاحظ باعتبار التواصل أحد أبعاد التداولية، كما اعتبر السياق التداولي عنصرا هاما في التواصل البياني، وقبل أن نستعرض دور السياق التداولي في التواص البياني عند الجاحظ، سنقف عند منظور التداوليين للتواصل باعتباره من أهم القضايا التي تنبني عليها التداولية.

### 2-1 التداولية والتواصل:

ترتبط التداولية ارتباطا وثيقا بالتواصل، لأنّ التداولية هي استثمار آليات في توصيل رسائل معيّنة، ويفيد معنى التواصل في اللغة العربية الاقتران والاتصال والصلة والترابط والجمع والإبلاغ والانتماء والإعلام[3]،أمّا في اللغة الفرنسية فتعني كلمة Communication إقامة علاقة وتراسل وترابط وهذا يعني أنّ هناك تشابها في الدلالة وفي المعنى بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي[4]، يدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات

(1)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص139.

(2)- المصدر نفسه، ص185.

(3)- ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ص45.

(2)- رومان جاكبسون، **البحوث في اللسانيات العامة**، ج1، ترجمة: علي حاكم وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002، ص99.

والأفراد والجماعات " التواصل هو إشراك شخص أو هيأة ( Organisme ) موضوع في فترة ما في نقطة معيّنة في تجارب منشطة لمحيط شخص آخر أو نسق آخر موضوع في فترة أخرى ومكان آخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما (تجربة عوضية)"[1]، فالتواصل هو اتصال بين مرسل ومستقبل، ويعرّف شارل كولي Charles Cooly التواصل بأنه " الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكلّ يشمله آخر ما تمّ في الاكتشافات في المكان و الزمان"[2]، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف.

ويرى أندريه مارتينيه "أن إحدى وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم بعض، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم"[3]، فهو يرى أن التواصل هو أهم وظائف اللغة ويفترض التواصل باعتباره نقلا وإعلاميا- مرسلا ورسالة ومتقبلا وشفرة، يتفق في تسنينها كلّ من المتكلم والمستقبل وسياقا مرجعيا ومقصدية الرسالة.

**1-المرسل Destinateur** : يعتبر المرسل الذات المحورية في إنتاج الخطاب،لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معيّنة وبغرض تحقيق هدف منه[4].

**2-المرسل إليه Destinataire** : يعتبر المرسل إليه مكوّن أساسي في العمليات التخاطبية والتواصلية، وتتعدى أهميته المرسل عند البلاغيين " ففي النموذج البلاغي للتواصل يحتل متلقي الخطاب المقام الأوّل بدون منازع "[5]، وفي العملية التواصلية

(1) - المرجع نفسه، ص45.

(2)- عمر أوكان، **اللسانيات والتواصل**، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص65.

(3)- عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي**، دار هومة، الجزائر. ص38.

(4)- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ط1، مكتبة الدكتور الغامدي، بنغازي، ليبيا، 2004، ص45.

(5)- هنريث بليث، **البلاغة والأسلوبية**، ص38.

يتفاعل المرسل مع المرسل إليه من خلال معرفة الأوّل للثاني، فيختار المرسل الاستراتيجية المناسبة.

**3-الرسالة Message :** بالرسالة يتحقق في التواصل الجانب الملموس في العملية التخاطبية، فهي: "الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية، لمّا يكون التخاطب شفهيا" [1]

**4-السياق Contexte :** لكل رسالة سياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية أو تفك رموزها السّننية إلاّ بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها الرسالة، قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ولهذا ألح جاكبسون على السياق باعتباره العامل المفصل للرسالة[2].

**5-القناة Canel :** القناة هي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وعبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى[3].

**6-السننِ Code :** ويسمى الشفرة، وهو "نسق القواعد المشتركة بين الباث والمتلقي، والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول"[4]، فالسنن المشتركة بين المتخاطبين تساهم في استمرار العملية التخاطبية.

وتنتج هذه العناصر وظائف لسانية مختلفة "فالانفعال مرتبط بالمتكلم (الوظيفة الانفعالية)، أما المتلقي فقد يكون عرضة للزجر والأمر والنهي والتوجيه (الوظيفة الإفهامية)،أما الشعري فمثواه الإرسالية (الوظيفة الشعرية). ويتحدد المرجع من خلال الإحالة على السياق (الوظيفة المرجعية) ويرتبط السنن باللغة الواصفة (الميتالغوية)، وقد لا تتجاوز الواقعة الإبلاغية، حدود الحفاظ على حالة التواصل، خلال التأكيد على أداة الاتصال (الوظيفة اللغوية)"[5]، وهذه الوظائف الست هي من اقتراح جاكبسون.

---

(1) - الطاهر بومزبر، **التواصل اللساني والشعرية**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص27.

(2)- ينظر: عيسى عودة برهومة، **تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي**، مجلة عالم الفكر، العدد1، مجلد 36، سبتمبر 2007، ص125.

(3)- عمر أوكان، **اللغة والخطاب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2001، ص49.

(4) - المرجع نفسه، ص48.

(5) - سعيد بن كراد، **استراتيجية التواصل**، مجلة علامات المغربية، العدد21، 2004، ص9.

وفي المجال البلاغي، يرتبط الاتصال اللفظي الجيد بفصاحة المتكلم، ذلك أنه حتى يحدث التفاعل والتأثير المنشود بين مرسل الرسالة اللغوية (المتكلم)، وبين متلقيها (السامع) لا بد من أن تخرج تلك الرسالة على نحو يضمن لها البيان وحسن الإفهام، وذلك يعتمد على الطريقة التي يرسل بها المتكلم رسالته اللغوية، فمضمون الرسالة ووظيفتها الإبلاغية (الشعرية) متوقف على حسن أداء المتكلم بها إذا كان الكلام منطوقا (اتصالا لفظيا)، إذ لا بلاغة قبل الفصاحة، ولا إفحام قبل الإفهام[1]، ويتوقف إيصال الرسالة اللفظية البليغة على جودة أداء المتكلم وفصاحته، ذلك أن الفصاحة هي الحد الأدنى الذي بانعدامه تتهدم العملية البلاغية من أساسها، وبتعبير علماء الاتصال" إذا نجح المرسل في اختيار الرموز المناسبة للتعبير عن فكرة تعبيرا صحيحا ودقيقا وواضحا يكون بذلك قد وضع قدمه على الطريق الصحيح، وأصبح هناك أمل في الوصول إلى نهاية الطريق إذا تحققت الظروف المواتية لإتمام عملية الاتصال في مراحلها التالية، أما إذا عجز هذا المرسل عن صياغة أفكاره في رموز واضحة تعبر عما يقصد انهارت عملية الاتصال في مراحلها الأولى، وتحولت إلى عبث قد يسبب الضرر بدلا من أن يحقق النفع"[2]، والحقيقة أن الاتصال عن طريق الكلمة المنطوقة أو ما يسمى ب"الاتصال اللفظي"، له أهميته البالغة في مجال العلاقات الإنسانية حيث " لا نستطيع أن نتصور الحضارة الإنسانية بأسرها بدون الكلمة كأهم أداة لها في عملية التراكم والاستمرار والنمو والانتقال من بقعة إلى أخرى، وبطبيعة الحال في التعلُّم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين، الماضية والحالية على حد سواء، ولذلك فإن أهم خاصية يتميز بها الإنسان هي توظيفه للكلمة في نقل الخبرات التي تشمل كل التراث الحضاري والثقافي والفكري من جيل لآخر عبر الزمن"[3]، وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه بارث حين اعتبر الأنساق اللغوية أعم من الأنساق غير اللغوية، لأن الأنساق غير اللغوية تحتاج للغة لشرحها.

(1)- ينظر: علي يحي، **فصاحة المتكلم رؤية لجودة الاتصال اللفظي**، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة الدورية المحكمة، العدد 30، ج4، 2011، ص374.

(2)- علي عجوة، **مقدمة في وسائل الاتصال**، ط1، مكتبة مصباح، جدة، المملكة العربية السعودية، 1989، ص19.

(3) - نبيل راغب، **شرف الكلمة**، مكتبة المحبة، ص13-14.

**2-2 دور السياق التداولي في التواصل البياني عند الجاحظ:**

ظلت كلمة البيان يراد بها الظهور والكشف و الإيضاح سواء في المعنى اللغوي[1] أم في المعنى الاصطلاحي[2]، وهي كذلك عند الجاحظ حيث جعل دلالة الوضوح ميزة البيان، فيقول: "والدّلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيانُ، الذي سمعتَ الله عزّ وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحثُّ عليه، بذلك نَطَقَ القُرآنُ وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلتْ أصناف العجم"[3]، ويعرّف الجاحظ البيان بقوله: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[4]، فيكسب الحضور الإيجابي للسامع في هذا التعريف بلاغة الجاحظ بعدا تداوليا، ويكون البيان هو العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام، ويرى محمد العمري أن البيان عند الجاحظ يشتغل على مستويين متداخلين[5]:

- **المستوى المعرفي العام** : وهو مستوى تهيمن عليه الوظيفة الفهمية.

- **المستوى الإقناعي التداولي الخاص**: وهو مستوى تهيمن عليه الوظيفة الإقناعية.

وركز الجاحظ على وظيفة الإفهام التي يراد منها :" إيضاح المعنى القائم في الجسم حتى يدركه الآخر"[6]، وقد كان هذا دافعا لاهتمامه بالعملية التخاطبية وأطرافها وأدواتها الإجرائية، فيقول:" أوّلها اللفظ، ثم الإشارة، ثمّ العقد ، ثمّ الحال التي تسمّى نصبة، والنّصبة هي الحالة الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف"[7]، فاللفظ يُعدّ محور

(1)- ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ص75، وابن فارس: **مقاييس اللغة**، ص65

(2) - ينظر: **مفردات غريب القرآن**، ص55، **والنهاية في غريب الحديث والأثر**، ج1، طبعة القاهرة، ص174.

(3)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص75.

(4)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص76.

(5)- محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص199.

(6)- المرجع نفسه، ص194.

(7)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص76.

البيان، أمّا الإشارة فتكون باليد والرأس ... وغيرها، ويعني الخط الكتابة، أمّا العقد فتتجلى فضيلته في معرفة الأوقات وتقدير الزمان، وفي ذاك منافع للعباد، والنصبة هي دلالة الاعتبار والتأمل التي تقوم على أساس العقل.

من جهة أخرى، يتّأرجح مفهوم البيان عند الجاحظ بين الاتساع والضيق، فنجده يتّسع ليشمل كل" وسائل التعبير الممكنة بين البشر، ومختلف الكيفيّات التي يؤدّون بها المعنى، بقطع النظر عن العلامة المستخدمة، وهذا معنى عام يتّسع للغة ولغيرها"[1] ، كما نجده يضيق لينحصر في الوظيفة اللغوية التي تعدّ من أرقى العلامات نظرا لما تملكه من خصوصيات تعبيرية. فالجاحظ بذلك ينتقل من العلامة العامة إلى العلامة اللغوية بمستويها العادي والأدبي، ويكون الإفهام عن طريق اللفظ أو غيره من العلامات (الإشارة، والخط...) بوصفها أدوات إجرائية تحقق الفهم.

كما أولى الجاحظ عناية فائقة باللفظ و"تخيره"، فهو يجمع عنده بين الوظيفة التزينية والوظيفة التداولية التأثيرية، فاللفظ " متى كان كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلم الريض"[2]، فاللفظ حين يتصل بالأذهان ويؤثر في القلوب يصبح وسلة لتحقيق القصد من الخطاب.

ولكي يجمع اللفظ بين النجاعة التواصلية والقيمة التزينية يشترط فيه الاعتدال والتوسط" فالقصد في ذلك تجنب السوقي والوحشي، ولا تجعل همك تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة"، فاللفظ يشترط فيه عند أهل البلاغة أن يكون بعيد عن التوعر ولا يكون وحشيا ولا ساقطا سوقيا، وليحقق اللفظ القصد والمنفعة، حسب الجاحظ يشترط فيه المشاكلة للمعنى وتحقيق القصد، يقول: "متى شاكل، أبقاك الله، ذلك اللفظ

(1) - حمادي صمود، **التفكير البياني عند الجاحظ أسسه وتطوره إلى القرن السادس**، منشورات الجامعة التونسية 6، المجلد 21، تونس، 1981، ص157.

(2)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2، ص8.

معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر لفقا، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، وألا تزال القلوب به معمورة والصدور مأمولة"[1]، فمشاكلة اللفظ للمعنى شرطا أساسيا لتحقيق لتحقيق القصد والمنفعة.

من جهة أخرى، يرتبط البيان عند الجاحظ ارتباطاً وثيقًا بالتواصل، ويظهر هذا الارتباط في مظهرين: المظهر الأوّل من خلال تحديده لوظيفة البيان التواصلية، والمظهر الثاني من خلال اهتمامه بمختلف الأشكال التي تؤسس للعملية التواصلية. فالجاحظ لم يتغاض عن وظيفة البيان التواصلية، ففضلا عن اهتمامه بالوظيفة الإقناعية للبيان، إلا أنّه اهتم بوظيفته التواصلية، لذا نجده يحدد وظيفة البيان التواصلية، قائلا:" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2]. وبذلك يحدد الجاحظ في هذا التعريف الأصول الكبرى لدورة التواصل البياني في التراث العربي وهي:

1- القائل
2-المستمع
3-وظيفة التخاطب: الفهم والإفهام
4-موضع التواصل/السياق التداولي
5-الدليل.

ويدل الموضع على مقام التخاطب التداولي الذي يؤطر العملية التواصلية عامة، وأهم عناصره : زمان التواصل ومكانه وأحوال المتخاطبين المهيئة لهما لتأدية أدوارهما

(1) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(2)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص76.

التخاطبية. وقد شرح الجاحظ ما يقصد بالموضع، باعتباره عنصرا هاما في بنية التواصل البياني عنده، فأرجعه إلى أمرين:

أ-**أقدار المستمعين**: وقد استعمل الجاحظ في حديثه عن أقدار المستمعين عدة ألفاظ دالة على الطبقات التي يكون لها معجم خاص ومصطلحات متميزة مثل: المتكلمين والنحاة والعروضيين والمناطقة.

ب-**أقدار الحالات**: ينصرف حديثه عن أقدار الحالات إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحدا في الحالتين، ولكن المناسبة تختلف فتختلف لذلك المعاني[1].

ويمكن للدليل عند الجاحظ أن يكون لفظيا وغير لفظيا، قد أشار إلى تكاملهما وقيام بعضهما مقام بعض في مواضع مختلفة، وهذا ما يفيد اتساع الدليل واشتماله لأنواع من الأنساق التواصلية، التي لا تقتصر على اللفظ بالضرورة، بل تشمل كل ما يكشف المعنى للسامع ويوصله إليه.

وينبني هذا التقسيم الخماسي للجاحظ على مبدأ تواصلي عام، لا يأخذ بالاعتبار وظيفة خطابية أخرى، غير تحصيل المعنى في مجرى تداولي، يبتدئ من المتكلم وينتهي عند السامع بمعيار واحد هو حصول الفهم كيفما كانت الوسيلة.

كما تتحدد العلاقة التخاطبية من جانب المتكلم بالتوجّه إلى المستمع وبإفهامه مراده، ومن جانب المستمع بالتلقي من المتكلم وفهم مراده، لأنّ " مراد الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2]، فلا بد من مراعاة عملية التلقي لكي تتم عملية الإبلاغ، ولذلك يختار المُبلّغ الأدوات التي يراها ذات كفاية في عرض النص مسموعا كان أو مقروءا، ويختار الباث في هذه الحالة كافة الوسائل والأساليب والأدوات التي تضاف لعمل إبداع أو تختلف معه قصد التشديد على إبرازه وتوصيله إلى المتلقي. فيكون البيان عند الجاحظ ذو بعد تداولي، يتنازعه مفهومان أو وظيفتان:

البيان معرفة ******** الوظيفة الإفهامية.

(1)- ينظر: المصدر نفسه، ص202.

(2)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص76.

البيان إقناع وتأثير ******** الوظيفة الإقناعية.

وانطلاقا من وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم، وكان مراده لا يُعلم إلا بكلامه، انقسم كلامه إلى ثلاثة أقسام:

-**القسم الأوّل**: ما هو نص في مراده لا يقبل محتملا غيره.
-**القسم الثاني**: ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل ما يريده.
-**القسم الثالث**: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد، بل هو محتمل محتاج إلى البيان.

ويستخدم المتلقي في القسم الثالث التأويل للوصول إلى المعنى المراد، مُتخذا بذلك السياق التداولي منطلقا للتأويل.

ويمكن القول أن نظرية الجاحظ في البيان اللفظي قد اعتمدت على مصدرين هما الحديث عن لغة الخطابة، وشروطها الإفهامية، وهذا باعتماد البيان اللفظي على النسق الكلامي، واستلزامه لكافة أطراف التداول، بل أن الخطابة نفسها لا تتشكل نوعيّا إلا في مواقف حيّة، يحدث فيها التفاعلية بين الخطيب الراغب في الإفهام والإقناع، وبين السامع المطالب بالفهم والاقتناع.

أمّا المظهر الثاني للعلاقة الوثيقة بين البيان والتواصل فتظهر من خلال اهتمام الجاحظ بمختلف الأشكال التي تؤسس العملية التواصلية والتي تقتضي مخاطبا يرسل خطابه بواسطة اللغة إلى مخاطب أو مستقبل، أي أنها اهتمت بمختلف الشروط التداولية التي تجعل من العملية التخاطبية عملية إيجابية، وقد اعتمد التواصل البياني في الدرس البلاغي عند الجاحظ على الأسس التداولية التالية:

**أ-الوضوح:**

ترتبط كلمة الوضوح في اللغة ارتباط وثيقا بالبيان، ذلك أن من معاني البيان اللغوية الوضوح والكشف، يقول ابن فارس: "بان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف"[1]، وقد أجمع أغلب النقاد والبلاغيون على ضرورة وضوح المعنى واعتبروه من أبرز المعايير التي يتفاضل بها الكلام، فيؤكد بشر بن المعتمر على ضرورة وضوح الخطاب الذي يرسل

(1)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (بين). ص150.

إلى المخاطَب، ويحذر من التوعر والتعقيد، يقول:" وإيّاك والتوعُّر، فإنّ التوعُّر يُسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيكَ ويَشين ألفاظك"[1]، فهو يلح على وجوب تحري الإفهام لأن مزية الكلام في قابليته للفهم.

ويُفصّل الجاحظ في دلالة الوضح، فيقول:" وعلى قدر وُضوح الدّلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقة المَدخَل، يكون إظهار المعنى، وكَلّما كانت الدّلالة أوضحَ وأفصحَ، وكانت الإشارة أبينَ وأنورَ، كان أنفعَ وأنجعَ" [2]، فوضوح الدلالة شرط من الشروط التي يتفاضل بها الكلام عند الجاحظ.

وقد ظلّت فرضيّة الوضوح سائدة في الدرس البلاغي القديم لأن التواصل والاهتمام بالمتلقي هو المهيمن على هذا الدرس، فكانت كل الخطابات تُوظف لمقصد واحد، مقصد جمعي يتطلب حدا مشتركا قابلا للفهم، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الوضع الخاص للبيان قائلا: "والدلالة الظاهرة على المعنى الخفّي هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجلّ يمدحُه ويدعو إليه ويحثّ عليه، بذلك نَطقَ القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضَلَت أصنافُ العجم"[3]، فالبيان ميزة من ميزات اللغة العربية التي تفضل الوضوح على الغموض في المعنى.

من هذا المنطلق، يُعتبر الوضوح ركيزة أساسية من ركائز التواصل البياني في الدرس البلاغي العربي الجاحظي، لأنه يُفترض في التواصل أن يكون من أجل قصد معيّن، فالمتكلم يقصد بكلامه التوجّه إلى مخاطب، والمخاطب يقصد التوجّه بسمعه إلى المتكلم، ويصل إلى المعنى المقصود بعد تأويله الكلام، كما يُساهم المقام –الشروط التداولية- في التأثير في عملية التواصل بين الأفراد، ولا يتحقق هذا الأمر إلا إذا كانت الرسالة واضحة من طرف المرسب بعيدة عن التعقيد والغموض.

وبذلك يُمكن القول أن الوضوح يعتبر أحد المعايير التي بنيت عليها العملية التواصلية للبيان عند الجاحظ.

(1)- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص136.

(2)- المصدر نفسه، ص75.

(3)- الجاحظ، البيان والتبيين، ص75.

**ب-مراعاة المقام التخاطبي:**

اهتمت الجاحظ اهتماما بالغا بالمقام أو ما أسمته بمقتضى الحال، أي مختلف العناصر التداولية التي تجعل الخطاب يحقق هدفه التواصلي، وبالوسائل التي يلجأ إليها صاحب الخطاب ليطابق بين كلامه والمستمعين، يقول بشر بن المعتمر:" وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة، مع مواقفة الحال، وما يجبُ لكلّ مقام من المقال"[(1)].

وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال في الظروف والملابسات التي يجري فيها الخطاب، والتي يسميها الجاحظ الحال أو المقام، وسماها البلاغيون العرب فيما بعد مقتضى الحال، وعند الغربيين بالشروط التداولية، وهي المطابقة بين الخطاب وبين الظروف الخاصة بكل خطاب، وقد أكد البلاغيون العرب على ضرورة موافقة الحال وما يجب لكل مقام، والموازنة بين أقدار المستمعين وأقدار الحالات، يقول بشر بن المعتمر: " ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويُوازنَ بينها وبين أقدار المسمعينَ وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسمَ أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسمَ أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات"[(2)]، فمراعاة أقدار المسمعين وأقدار الحالات ضروري حسب ابن المعتمر.

ولم تقتصر هذه القاعدة على الخطبة فقط، بل تعدتها إلى جميع أصناف الخطاب، من شعر ونثر... فاتسعت بذلك دائرة البعد التداولي في تحليل الخطاب عند العرب.

ويرتبط موضوع التواصل بالبلاغة، كآلية الإخبار والإفهام وهي سواء ارتبطت بأنصار اللفظ أو بأنصار المعنى، فإنها تعتني بالمتلقي وتوفر للخطاب شروطه التداولية لنجاح عملية التواصل من خلال الاهتمام بثلاثة مقومات: المعنى وطرق أدائه وأحوال المخاطبين[(3)]. لذا فإن جهاز التخاطب التداولي للبلاغة العربية القديمة تهيمن عليه وظيفة الإفهام المتعلقة بالمتلقي.

---

(1)- الجاحظ، **البيان والتبين**،ج1، ص136.

(2)- الجاحظ، **البيان والتبيين**،ج1، ص137/136.

(3)- عبد الجليل ناظم، **البلاغة والسلطة في المغرب** ، دار توبقال للنشر، ط1، 2002. ص52.

من هذا المنطلق، فإن عملية التخاطب لا يمكن القيام بها مستقلة عن مقامها التخاطبي التداولي ومكوناته، التي تجمع بين مقام التكلم والتلقي والتأويل، لأن بعض مكونات مقام التلقي تكون حاضرة وفاعلة في ذهن المتكلم، حتى ولو يكن المخاطب أمامه، كما المخاطب يستعين على فهم وتأويل ما يوجّه إليه من خطاب بما يبينه ويفترضه من مكونات تداولية/ مقام إنشاء ذلك الخطاب، حتى ولو يكن شاخصا إلى المتكلم ببصره ويقول طه عبد الرحمان عن تداخل هذين المفهومين: "فإن إنشاء مدلول القول في عملية التكلم، وتأويل هذا المدلول في عملية الاستماع، يتطلبان معا التوسل بسياقات مزدوجة، فسياق الإنشاء يحتوي على نصيبا من سياق التأويل، وسياق التأويل يحتوي على نصيبا من سياق الإنشاء، وعلى قدر هذا النصيب المشترك يكون التفاهم، حتى إذا عظم هذا النصيب، ارتقى التفاهم إلى الفهم والتواصل إلى الوصال"[1] ، لذا فإن وضع الخطاب في سياقه التداولي الذي ورد فيه يساعد في تحديد خصائصه، فمراعاة المقام ضرورة في عملية التخاطب، وهو ما حرص عليه الجاحظ من خلال جعل عنصر المقام مفتاحا لكل تحليل تأويلي.

## خاتمة:

من خلال استعراضنا لقضية السياق التداولي في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، جعلنا نستخلص أن الدرس البلاغي العربي عند الجاحظ حمل ملامح التداولية الحديثة، من خلال وعيّه ببعض القضايا التي طرحتها التداولية الحديثة، فكان على وعي كبير بأهميّة السياق في البلاغة العربية، لهذا اهتم اهتماما كبيرا بالسياق، فنجد فكرة المقام تحتل مكانة كبيرة داخل في كتاب البيان والتبيين، كما تنبّه الجاحظ إلى العلاقة التي تربط بين البيان والتواصل، فنظر إلى البيان العربي من الجانب التواصلي وركز على العلاقة التي تربط بين المُخَاطِبِ والمُخَاطَبِ.

## قائمة المصادر والمراجع

1- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة (سوق)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

(1) - طه عبد الرحمان، **التواصل والحجاج**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن زهر، أكادير، 1996، ص17.

2- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سوق)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994،.
3- أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، 1971.
4- الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1،د.ت.
5- الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1976ج3..
6- حبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، دار الملايين، ط1، 1979.
7- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والأنجليزية واللاتينية**، ط1، بيروت، 1971.
8- حمادي صمود، **التفكير البياني عند الجاحظ أسسه وتطوره إلى القرن السادس**، منشورات الجامعة التونسية 6، المجلد 21، تونس، 1981.
9- رومان جاكبسون، **البحوث في اللسانيات العامة**، ج1، ترجمة: علي حاكم وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002.
10- سعيد بن كراد، **استراتيجية التواصل**، مجلة علامات المغربية، العدد21، 2004،
11- الطاهر بومزبر، **التواصل اللساني والشعرية**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007..
12- طه عبد الرحمان، **التواصل والحجاج**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن زهر، أكادير، 1996.
13- طه عبد الرحمان، **الدلاليات والتداوليات، أشكال الحدود**، مجلة البحث اللساني والسيميائي، العدد 9/8/7 ماي 1981، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
14- عادل عبد اللطيف،**خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي، مقاربة لآليات بلاغة الإقناع**، أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، السنة الجامعية، 2004/2003.
15- عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي**، دار هومة، الجزائر.
- عبد الجليل ناظم، **البلاغة والسلطة في المغرب** ، دار توبقال للنشر، ط1، 2002.

16- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب**، ط1، مكتبة الدكتور الغامدي، بنغازي، ليبيا، 2004.

17- علي يحي، **فصاحة المتكلم رؤية لجودة الاتصال اللفظي**، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة الدورية المحكمة، العدد 30، ج4، 2011،

18- عمر أوكان، **اللغة والخطاب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2001،

19- عمر أوكان، **اللسانيات والتواصل**، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

20- عيسى عودة برهومة، **تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي**، مجلة عالم الفكر، العدد36،سبتمبر 2007.

21- كريم بشر، **التفكير اللغوي بين القديم والحديث**، ط2، القاهرة، 1989.

22- كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في علم اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1939

23- محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999،

- محمد يوسف حلبص، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، 1991.

24- محمد العمري، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999،

25- هنريث بليث، **البلاغة والأسلوبية**، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

26-Jean Dubois et autres, **Dictionnaire de linguistique,** édition 2001.